Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يستطيع أن يكون سلبيًّا عن وعى ، أو أن يكون إيجابيًّا عن وعى . ويستطيع أن يقبل أمرًا عن عمد ، أو يرفضه عن عمد ، ولكنه يجب أن يقرر ، لأن وضعه فى الحياة لم يعد ضرورة حقيقية ، كما يمكنه أن يكون شيئًا مختلفًا إذا ما اختار . والضرورة التى يمكن أن تجعله حرًّا لم تعد عمله كما هو ، وإنما ضرورة الاختيار فى أن يتقبله أو يرفضه . وأن تكون بلا وعى ، معناه ألاّ تكون فردًا ، ولا شخصًا ، وإنما تكون واحدًا صحيحًا حسابيًّا فى شىء يطلق عليه « الجمهور » والذى ليس له وجود حقيقى .

وهذا – بكل أسف – ما لا يقع غيره فى أغلب الأحوال . ولقد سمعنا كثيرًا – فى غضون السنين العشرين الأخيرة – عن انعزال الفنان الحديث عن الناس ، كما سمعنا عن أن الفن الحديث غامض بالنسبة للعامة من الجماهير . ومن المفترض الشائع – والخاطئ فى نفس الوقت – أن سبب ذلك هو أن الفنان حالة خاصة . أما السبب فى رأيى فهو عكس ذلك . وهو أن فقدان الاتصال بين الفنان والجمهور ، يبرهن على فقدان الاتصال بين الناس وبعضهم . والعمل الفنى يزيح القناع فقط عن هذا الافتقاد المشاع بيننا جميعًا . ولكننا – فى العادة – نحرف معناه بكل حيلة ، وبكل مواصفات النقاش . الناس الآن فرادى فقط ، ويستطيعون تشكيل كتل متجمعة ، وليس تشكيل مجتمعات .

وهناك رد فعل شائع إزاء هذا ، وهو إلقاء مسئولية عيوبنا على كاهل القدر ، وذلك بزعم أننا نعيش فى عصر انتقال . ويتضمن هذا الزعم أننا إذا ظللنا سلبيين وصابرين ، فإن عيوبنا ستختفى من نفسها عندما يستقر النظام الجديد بنفسه . وهذا تزييف ، وطريقة خطيرة فى طرح حقيقة هامة . ولربما كانت الميزة الحاسمة الوحيدة التى انحدرت إلينا من أسلافنا ، هى معلومة تاريخية تساعدنا على أن نرى كل العصور إنما هى عصور انتقال . وهذا التيقن سيستل منا الآمال الزائفة ، والاعتقاد الكاذب ، إذا كنا سعداء الحظ بأن « الفكرة المطلقة » قد تحققت – أخيرًا – تحققًا تاريخيًّا . أمّا إذا كنا سيىء الحظ فليستل منا – هذا التيقن – توقع ألف عام . وفى نفس الوقت ، يجب أن يقينا من اليأس ، فليس هناك خطأ نهائى .

ومهما تكن قوميتنا ، أو عملنا ، أو معتقداتنا ، فإننا نتفق جميعًا على شىء واحد ، وهو أن العصر الذى نعيشه الآن يحدد نهاية فترة تاريخية . بدأت – من باب التجاوز – بعصر النهضة . إننا جميعًا – عن وعى – أو بلا وعى – نبحث عن شكل ما من الوحدة الشمولية الكاثوليكية كى